

دفاعا عن مهنة التدريس في عصر الذكاء الاصطناعي

قراءة في كتاب فيليب ميريو: "مَنْ لا يزال يرغب في أساتذة؟"

Defending the Teaching Profession in the Age of Artificial Intelligence: A ?"Reading of Philippe Meirieu's Book: "Qui veut encore des professeurs

الأستاذ موسى افرماس

الأكاديمية الجهوية للتربية والتكوين، جهة الشرق – المغرب

moussaafaramass1994@gmail.com

ملخص:

يقدم هذا المقال قراءة تحليلية في كتاب البيداغوجي والمفكر التربوي الفرنسي فيليب ميريو: Qui veut encore des professeurs? (من لا يزال يرغب في أساتذة؟)، والذي يدافع فيه عن مهنة التدريس في مواجهة التحولات التي يشهدها النظام التعليمي المعاصر، بفعل صعود المقاربات التكنولوجية والنيوليبرالية والرقمنة المتسارعة والذكاء الاصطناعي. وينطلق المقال من عرض الأطروحة المركزية للكتاب، قبل الوقوف عند أبرز الأفكار التي يناقشها، وفي مقدمتها أزمة جاذبية مهنة التدريس، وتنامي النزعة التقنية في التعليم، وتراجع الاستقلالية المهنية للأستاذ، وهيمنة ثقافة القياس والتقييم الكمي للتعليمات، والدور الإنساني والسياسي الذي يضطلع به الأستاذ داخل المدرسة. كما يحاول المقال، في قسمه الأخير، قراءة عدد من هذه الأفكار في ضوء واقع المدرسة المغربية، من خلال مناقشة قضايا التوظيف والتكوين، ومدارس الريادة، والاستقلالية البيداغوجية، وجاذبية المهنة، ومكانة المعرفة داخل المنظومة التعليمية، مع الحرص على عدم إسقاط أفكار ميريو بصورة آلية على السياق المغربي، وإنما استثمارها بوصفها إطارا تحليليا يساعد على فهم بعض التحولات التي تعرفها المدرسة ومهنة التدريس بالمغرب.

الكلمات المفتاحية: فيليب ميريو، مهنة التدريس، الاستقلالية المهنية للأستاذ، التكنولوجية، التكنولوجيا،

المدرسة المغربية، الذكاء الاصطناعي

كيفية الاستشهاد بهذا المقال:

افرماس، م. (2026). دفاعاً عن مهنة التدريس في عصر الذكاء الاصطناعي: قراءة في كتاب فيليب ميريو: "من لا يزال يرغب في أساتذة؟". مجلة آفاق بحثية متعددة التخصصات في العلوم الاجتماعية والإنسانية، 1(3)، 55-71. <https://doi.org/10.5281/zenodo.23187323>

Abstract:

This article provides an analytical reading of Philippe Meirieu's book *Qui veut encore des professeurs? (Who Still Wants Teachers?)*, in which the French educational thinker and pedagogue defends the teaching profession against the profound transformations affecting contemporary education, particularly the rise of technocratic and neoliberal approaches, rapid digitalization, and artificial intelligence. The article begins by examining the book's central thesis before discussing its main arguments, including the declining attractiveness of the teaching profession, the growing dominance of technological approaches to education, the erosion of teachers' professional autonomy, the expansion of quantitative assessment and accountability, and the indispensable human and democratic role of teachers within the school. In its final section, the article considers the relevance of these ideas to the Moroccan educational context by discussing issues such as teacher recruitment and initial training, Pioneer Schools, pedagogical autonomy, the attractiveness of the teaching profession, and the place of knowledge within the education system. Rather than mechanically transferring Meirieu's arguments to Morocco, the article employs them as an analytical framework for interpreting some of the ongoing transformations affecting Moroccan schooling.

Keywords: Philippe Meirieu, Teaching Profession, Teacher Attractiveness, Teacher Professional Autonomy, Technocracy, Technology, Moroccan School, artificial intelligence.

مقدمة

يُعدّ فيليب ميريو (المولود في سنة 1949 بفرنسا) من أبرز الباحثين المعاصرين في علوم التربية والبيداغوجيا، ومن أكثر المفكرين تأثيراً في النقاشات المعاصرة حول المدرسة ومهنة التدريس. درس الفلسفة والآداب، وعمل مدرّساً في التعليم الابتدائي والثانوي قبل أن ينتقل إلى التعليم الجامعي، حيث أصبح أستاذاً لعلوم التربية بجامعة لومير ليون الثانية.

يندرج المشروع الفكري لفيليب ميريو ضمن تقليد بيداغوجي يدافع عن المدرسة العمومية بوصفها فضاءً لتكوين الإنسان والمواطن، ويفرض اختزال التربية في مجرد نقل للمعارف أو تحقيق مؤشرات الأداء والنجاعة. وقد انشغل، على امتداد مساره العلمي، بقضايا التعلم والعلاقة التربوية، والسلطة والمسؤولية في التربية، والتكوين والتقويم، والتربية على الديمقراطية، كما خصص جانبا مهما من أعماله لنقد النزعات التكنوقراطية والنيوليبرالية التي تسعى إلى إخضاع المدرسة لمنطق السوق والقياس الكمي، على حساب رسالتها الإنسانية والثقافية والاجتماعية. لذلك ظل يؤكد أن وظيفة المدرسة لا تتمثل فقط في إعداد الأفراد لسوق الشغل، بل في بناء ذوات مستقلة، قادرة على التفكير النقدي، والعيش المشترك، والمشاركة في الحياة الديمقراطية. ويأتي كتاب موضوع القراءة امتدادا لهذا المشروع الفكري؛ إذ يدافع فيه ميريو عن مهنة التدريس في مواجهة التحولات النيوليبرالية والرقمنة المتسارعة، محذرا من اختزال وظيفة الأستاذ في مجرد منفذ للتعليمات أو وسيط تقني، ومؤكدا أن المدرسة لا تستطيع الاستغناء عن الأستاذ باعتباره فاعلا تربويا يبني الفكر النقدي ويُنشئ المواطن الديمقراطي (Meirieu, n.d).

وتعيش المدرسة في مجتمعاتنا المعاصرة تحولات عميقة فَرَضَتْهَا العولمة الرقمية، وتنامي حضور الذكاء الاصطناعي في مختلف مجالات الحياة، بما في ذلك المجال التربوي والتعليمي. ولعل ذلك هو ما أعاد إلى الواجهة أسئلة جوهرية حول مستقبل مهنة التدريس ووظيفة المدرسة وحدود التكنولوجيا في العملية التعليمية. ذلك أنه في الوقت الذي تزايد فيه الدعوات إلى تحسين مردودية الأنظمة التعليمية من خلال اعتماد القياس الكمي للتعليمات، والتعليم القائم على الأدلة والرقمنة وإدماج الذكاء الاصطناعي في مختلف العمليات التعليمية، يثار في المقابل نقاش واسع حول المخاطر التي قد تنتج عن اختزال الفعل التربوي والتدريسي داخل المدرسة في مؤشرات الأداء الكمية والبروتوكولات الجاهزة، وما قد ينجم عن ذلك من تراجع للاستقلالية المهنية للأستاذ، أو ما يسميه آخرون بالسلطة الرمزية للأستاذ، باعتبارها مسألة مركزية في المدرسة الحديثة، هذا علاوة على إضعاف العلاقات الإنسانية التي تشكل جوهر الفعل التربوي.

في هذا السياق، يمكن إدراج كتاب فيليب ميريو الذي يمثل امتدادا لمشروعه الفكري والتربوي المدافع عن المدرسة العمومية، وعن البعد الإنساني والثقافي والديمقراطي للتربية. ولا يكتفي الباحث بتشخيص أزمة مهنة التدريس، بل يقدم نقدا مهما للتحولات التي مست المدرسة المعاصرة، ويدافع عن الأستاذ البشري باعتباره فاعلا تربويا لا يمكن تعويضه بالتقنيات أو الخوارزميات مهما بلغت درجة تطورها، سواء خلال الثورة الرقمية الحالية أم المستقبلية.

وانطلاقاً من أهمية هذه الإشكالات، يسعى هذا المقال إلى تقديم قراءة تحليلية لأبرز أفكار الكتاب، مع مناقشة مدى راهنية بعضها بالنسبة للسياق المغربي، من خلال استثمارها إطاراً لفهم بعض التحولات التي تعرفها مهنة التدريس والمدرسة المغربية، دون افتراض تطابق بين السياقين الفرنسي والمغربي أو إسقاط مباشر لاستنتاجات المؤلف على الواقع التعليمي والتربوي المغربي. والانتفاء في الأخير إلى خلاصات الكتاب وبعض الإشكالات والتساؤلات التي أغفلها.

1. أطروحة الكتاب

يحمل عنوان الكتاب صيغة استفهامية يتساءل من خلالها فيليب ميريو عن مدى حاجة المجتمع الراهن إلى أساتذة داخل الفصل الدراسي. وفي معرض إجابته عن هذا السؤال في متن الكتاب، لا يشكك الباحث في أهمية وجود الأساتذة ووظائفهم الحيوية في المدرسة والمجتمع في ظل ثورة الذكاء الاصطناعي، بل على خلاف ذلك، يبذل قصارى جهده للدفاع عن مهنة الأستاذ مجادلاً ومحاججاً أن هذه الأخيرة (والمدرسة عموماً)، تواجه خطراً وجودياً يتمثل في تجريدها من أبعادها الإنسانية والتربوية والسياسية، ومحاولة تحويلها بضغط من المقاربات السياسية التكنوقراطية والنيولبرالية، وصناع التكنولوجيا (GAFAM) إلى مجرد عمليات ميكانيكية، لتقديم "خدمات" مقاسة كمياً، لإرضاء المستفيدين منها (التلاميذ وأباؤهم وأولياء أمورهم...)، وتحقيق نجاحهم الفردي.

يُعد GAFAM اختصاراً يُستعمل للإشارة إلى أكبر خمس شركات تكنولوجية أمريكية مهيمنة على الاقتصاد الرقمي العالمي، وهي: Google، وApple، وFacebook (Meta)، وAmazon، وMicrosoft. وعندما يتحدث ميريو عن GAFAM، فهو لا يقصد مجرد شركات تقنية، بل يقصد القوة الاقتصادية والفكرية التي تدفع نحو رقمنة التعليم وتحويل التعلم إلى مسارات فردية تعتمد على المنصات والخوارزميات والذكاء الاصطناعي (Meirieu، 2023، ص. 21).

وبالتالي، فإن هناك محاولة ممنهجة لاستبدال الأستاذ، بمفهومه التربوي التحرري الذي يبني الإنسان والوعي النقدي وقيم المشترك، بالأستاذ "المنفذ المستهلك" أو حتى بـ "المعالجات الرقمية" والبروتوكولات الجاهزة، وهو ما يهدد مستقبل الديمقراطية نفسها التي تتغذى على بناء الفكر الحر والعمل الجماعي داخل الفصل الدراسي. مع التأكيد على أن الأستاذ يظل فاعلاً لا غنى عنه، لأنه لا ينقل المعارف فحسب، بل يساهم في بناء الإنسان والمواطن، ويجسد القيم الديمقراطية ويغذي الرغبة في التعلم والانفتاح على العالم والعيش المشترك. ففي الواقع، الباحث يتحدث عن المدرسة

الفرنسية، ولكن مقاربتة والعديد من الأفكار التي يطرحها، قابلة للتعميم ويمكن أن تشمل أنظمة تعليمية عديدة بما في ذلك النظام التعليمي والتربوي بالمغرب.

2. أفكار الكتاب

أولاً: أزمة جاذبية مهنة التدريس وأزمة أدوارها التربوية

يستهل ميريو كتابه بالقول إن الخطاب الرسمي التربوي في فرنسا غالباً ما يختزل الدخول المدرسي في شعار تكنوقراطي جاف، وهو توفير "بالغ أمام كل قسم"، دون التساؤل عن الهوية التربوية لهذا البالغ (adulte) الذي سيتولى مهمة صناعة الناشئة وتربية الأجيال. فإذا كان الأستاذ يمثل رفيقاً ومرشداً تربوياً يتولى مهمة أنثروبولوجية: تتجلى في مساعدة المتعلمين على النمو والارتقاء في إنسانيتهم (grandir en humanité) وفي تلمس المعرفة النقية، فإن الخطاب التربوي الرسمي، تَحَوَّلَ اليوم، بفعل لغة "المدرسة الفعالة" و"التنمية الذاتية" إلى سياق نحو الخطوة الاجتماعية والشهادات للبعض، أو البحث عن مدارس بديلة للبعض الآخر. لذلك، يتساءل ميريو باستنكار: من لا يزال يريد أساتذة اليوم، أساتذة يتولون القيام بمهامهم الحقيقية، ما دام أن هذه الأخيرة سائرة في طور الإجهاض (Meirieu, 2023, pp. 7-8).

ونتيجة لأزمات التوظيف، بفعل ضعف جاذبية المهنة، صارت الاستعانة بمدرسين متعاقدين أو مؤقتين، يتم توظيفهم على عجل، ومن دون تكوين حقيقي أمراً مقبولاً، حيث يُطلب منهم فقط ملء الفراغ وإدارة القسم عبر بروتوكولات جاهزة ووسائل تكنولوجية متطورة، مما يدفع بالمهنة، وفق توصيف الباحث، نحو الاقتراب من "العمل المُكَمَّل" أو الحراسة المؤقتة للأطفال (Baby-sitting). هذا التراجع على مستوى المهام المنوطة بالأستاذ ومستوى التكوين وطرق التوظيف، يوازيه تراجع مالي واجتماعي حاد للمهنة. كما أن الجهة الرسمية الوصية عن التربية والتعليم، تحولت إلى إدارة تسعى جاهدة إلى تحقيق الولاء والتنفيذ الأعلى للتوجهات التكنوقراطية، وتوجيه الهياكل الإدارية إلى اعتبار آباء المتعلمين وأولياءهم بمثابة "زبائن" تُقدَّم لهم خدمات، تتوخى إرضاءهم (Meirieu, 2023, pp. 9-10).

ثانيا: وهم المعايير العلمية وتوحيد الممارسات البيداغوجية

يُشكّل الفصل الدراسي حسب الباحث فضاء يحتوي لقاءات إنسانية فريدة متنوعة وغير متوقعة وغير قابلة للحساب؛ حيث إن المتعلمين يحوزون شخصيات وخصائص نفسية واجتماعية وتاريخية مختلفة. وهذا الأمر يثير انزعاج التكنوقراط الذين يريدون إخضاع المدرسة إلى منطق يقوم على "إلزامية النتائج". هذا الانزعاج من اعتبارية المتغير الإنساني داخل الفصل الدراسي، يغذي إيديولوجيا "الممارسات الجيدة" وما يسمى بـ "التعليم القائم على الأدلة (Evidence Based Education)"، والذي يستند إلى العلوم المعرفية وعلم الأعصاب لفرض بروتوكولات بيداغوجية موحدة وعالمية في القراءة والحساب، وكأن مهنة التدريس تتلخص في مجرد صفات سحرية ميكانيكية، وليست فنا عمليا يتعامل بشكل يومي مع وضعيات تربوية متنوعة ومختلفة (Meirieu, 2023, pp. 11-17).

ويتعدى الأمر ذلك إلى محاولات عمالقة التكنولوجيا الرقمية (مثل بيل غيتس ومارك زوكربيرغ وإيلون ماسك)، لخلق "مسارات فردية" للتعليم، عبر منصات رقمية وذكاء اصطناعي يستند إلى ما يُعرف بتحليلات التعلم (Learning analytics)، لتكييف التعلم مع الخصائص المعرفية والانفعالية لكل فرد في "وقت حقيقي"، والهدف الضمني على المدى البعيد، هو الاستغناء عن الأستاذ البشري وتعويضه بالمعالجات الرقمية (Processors)، وتحويل المدارس إلى "مراكز تكييف وتدجين" أشبه بعالم هكسلي في روايته "عالم جديد شجاع"، وذلك ما سيسمح للآباء والأمهات، حسب التعبير الساخر للباحث، بالتفرغ لشؤونهم الشخصية والمهنية. ورغم أن جائحة كوفيد 19 كشفت أن التعليم عن بعد يعمق الفوارق الاجتماعية، إلا أن النزعة التقنية لا تزال تُصرُّ على الماضي قدما في هذا الخيار (Meirieu, 2023, pp. 18-21).

ثالثا: هيمنة التكنوقراط وثقافة التقييم الكمي المفرط

يوجه الباحث نقدا لاذعا لمنطق الخدماتية والنزعة الاستهلاكية (Consumérisme) الذي أضحى يحكم المؤسسة التعليمية؛ حيث بات نجاح المنظومة يُقاس بمدى رضا الآباء المستهلكين/المستفيدين، بدلاً من قدرة المؤسسة على تجسيد القيم وخدمة الصالح العام. وهنا يتساءل الباحث مستنكرا: مَنْ يتصور أن يتم قياس جودة منظومة العدالة بالاستناد إلى رضا المتقاضين؟ إن ما يعزز التوجه نحو المنافسة والنزعة الاستهلاكية، هو المبالغة في الانخراط والاعتماد على التقييمات الدولية مثل دراسة (PISA) التابعة لمنظمة التعاون والتنمية الاقتصادية (OCDE)، منذ بداية الألفية الثالثة. وهي منظمة

تهدف أساسا إلى الدفاع عن الليبرالية الاقتصادية والمنافسة، وليست منظمة لتشجيع المعرفة والثقافة كاليونيسكو أو للدفاع عن الطفولة كاليونيسيف، ثم إنها ليست منظمة غير حكومية (ONG) تناضل من أجل استفادة الجميع من التربية والتعليم (Meirieu, 2023, pp. 21-24).

تقدم هذه التقييمات المعيارية الدولية مجموعة من المبررات لتسويغ أهميتها وتبرير وجودها، حيث يستهدف برنامج PISA تفعيل المنافسة بين الأنظمة التعليمية من خلال مقارنة مدى فعاليتها اعتمادا على معايير مشتركة. وينطلق ذلك من افتراضين أساسيين: أولا، أن المنافسة والزامية تحقيق النتائج، تُعدّان أداتين أفضل من الخدمة العمومية ومنطق توفير الوسائل والإمكانات للحصول على تعليم ذي جودة. ثانيا، أن جودة التعليم يمكن قياسها بواسطة اختبارات معيارية موحدة تنتج نتائج قابلة للقياس الكمي والمقارنة. غير أن هذه المسلّمات -حسب ميريو- تبقى محل نقاش كبير وجدال عميق؛ فالمنافسة تُنشئ تراتبية بين المؤسسات التعليمية، وتُفضي إلى تركيز الموارد والإمكانات في خدمة الفئات الأكثر حظوة، وتشجع على التنقل المستمر بين المؤسسات التعليمية، وتُجيز مختلف أشكال الضغوط على الأشخاص والمؤسسات، وتُعمّق أوجه اللامساواة، كما تجعلنا نغفل الشروط الضرورية لبناء الصالح العام، والمتمثلة في: الاختلاط الاجتماعي، واكتشاف الآخر، وتطبيق بيداغوجيا التضامن. ويندرج هذا التوجه، وفق ميريو، ضمن المسار العام الرامي إلى التشكيك في جدوى الخدمات العمومية، التي تعرضت، على مدى سنوات، لهجمات متواصلة، سواء على المستوى المالي أم على المستوى الرمزي، في حين أن دورها ينبغي أن يكون «تقديم المزيد، وبجودة أفضل، لمن يملكون أقل (Meirieu, 2023, pp. 24-25).

غير أن هذه التقييمات تُحوّل التلاميذ إلى مجرد منفذين لتعليمات نمطية، ولا تغفل أبعادا جوهرية في التربية فحسب، بل تهمش المواد الإنسانية (الفلسفة والعلوم الاجتماعية...) والمواد الفنية والجوانب القيمية، نظرا لكونها غير قابلة للقياس الكمي. كما أن ثقافة الاختبارات الوطنية المستمرة والمنصات الرقمية -طيلة الحياة المدرسية- التي تُقدّم علاجات بيداغوجية أوتوماتيكية مبرمجة عن بعد تنطوي على سلبيات عديدة؛ فهي تسلب الأساتذة حريتهم البيداغوجية، وتنشر "ثقافة الشك والريبة" بين التلاميذ وأولياء أمورهم تجاه الأساتذة، كما أنها لا تأخذ في الحسبان اختلافات التلاميذ. ومن ثم، يقود هذا النوع من التقويم، وما يرافقه من ارتياب ونزعة تنافسية وتشكيك في المدرسة والمدرسين إلى فتح الباب على مصراعيه للشركات الخاصة والدعم المدرسي المدفوع، مستغلا قلق الأسر على فلذات أكبادهم (Meirieu, 2023, pp. 24-30).

رابعاً: خصوصية الفعل التدريسي والعلاقة الإنسانية للمدرس بالمعرفة

في سياق النقد الذي يوجهه للمقاربات الآلية والتقنية للمدرسة وللـفعل التدريسي، يذكر ميريو بأن طبيعة مهنة التدريس، لا تخضع للمنطق العلمي الصارم، بل تنتهي إلى ما يسميه ميشيل دي سيرتو "فنون الأداء والعمل" (Arts de faire) التي تحمل حرية ضد العقلانية التقنية. إنها المهنة التي وصفها فرويد بـ "المستحيلة" (Freud, 1985, p. 263; Gori, 2016, p. 159) لأنها تقوم على رهان إنساني يتمثل في أن: الأستاذ يَعرِضُ المعرفة أو يُوجِّهُ نحوها، لكن التلميذ وحده من يملك حرية أن يتعلم (Meirieu, 2023, pp. 31-32). وبالرغم من عدم خضوع المهنة لمنطق علمي صارم، إلا أن ذلك لا ينفي ضرورة استفادة الأساتذة، خلال التكوين الأساس والمستمر، من مختلف العلوم المتدخلة في دراسة الوضعيات التربوية كالسوسولوجيا والسيكولوجيا على سبيل المثال (Meirieu, 2019, p. 26).

ترتكز الوظيفة الجوهرية للأستاذ داخل الفصل على ما يسميه ميريو بالنقل الرمزي: بمعنى أخذُ الطفل/التلميذ خارج محيطه الضيق (الأسرة، الحي...)، حيث تَعَرَّفَ على العالم لأول مرة، ليكتشف عوالم وثقافات وأزمنة وأمكنة أخرى. إن ما يعمل الأستاذ على القيام به خلال هذا النقل الرمزي ليس معرفة ميتة تمر من يد إلى يد، بل هو علاقة بالمعرفة، تتجسد من خلال كلمته وصوته وحركته الحية، بل إن هذه المعرفة تبنى في الكثير من الأحيان من خلال التفاعل مع المتعلمين، وتفاعل هؤلاء مع بعضهم البعض. وهو ما لا يمكن أن تعوضه الابتكارات والآلات التكنولوجية. هكذا، فإن مملكة الأستاذ هي مملكة الكلام (la parole) على حد قول بول ريكور: "الكلام هو عملي، الكلام هو مملكتي" (Ricoeur, 1955, p. 192) حين تساءل يوماً ما عما يقوم به حين يُدرس؛ فالتلاميذ يتأثرون بالأستاذ الذي يبحث معهم عن الحقيقة ويفتح الطريق لهم باستمرار للوصول إليها، كما أنهم يتأثرون بالأستاذ الذي يتردد، ويصحح خطأه، ويبتهج حين يجد الصياغة المناسبة، وهي تجربة حية تقع على النقيض تماماً من اليقينيّات الإحصائية الباردة لمواقع الذكاء الاصطناعي. (Meirieu, 2019, pp. 34-37)؛ إذ تكمن إحدى مشكلات التعلم عبر الذكاء الاصطناعي، في أن الحصول الفوري على الإجابات، قد يلغي المسار الذي يؤدي إلى صقل المهارات والمعارف.

فبالرغم من السلبيات التي ينطوي عليها الاستخدام غير العقلاني للذكاء الاصطناعي بالنسبة للمتعلمين، إلا أن يمكن لهذا الأخير أن يكون مفيداً جداً لهذه الفئة وبالنسبة للمدرسين على حد سواء. بل هناك من يستشرف أن الذكاء

الاصطناعي يمكن أن يعوض مهنًا قائمة بذاتها، بما في ذلك مهنة التدريس، وهي الفكرة التي ينتقدها ميريو وليست هناك دراسات كثيرة تؤيدها. (Albandea, 2026, pp. 49-51).

خامسا: الفصل الدراسي بوصفه مشتلا لبناء الديمقراطية والعيش المشترك

لقد اختلف المفكرون والباحثون التربويون والسوسيولوجيون حول وظيفة المدرسة داخل المجتمع، إلى درجة أن بعض التصورات نزعت إلى اتخاذ موقف نقدي جذري تجاه الوظيفة المحايدة للمؤسسة المدرسية، وهي تصورات تندرج ضمن ما يعرف في بعض الكتابات بالتوجه المناهض للبيداغوجيا (l'antipédagogie) (Resweber, 2012, pp. 16-26). وفي خضم هذا السجال، يسجل ميريو أن وظيفة المدرسة السياسية والاجتماعية خاصة، لا تكمن في نجاح التلاميذ بشكل فردي ومنعزل، ولا في مجرد توفير التعلم فحسب، بل إن المدرسة خلقت لكي يتعلم هؤلاء التلاميذ معا، ويساهموا في صناعة المجتمع الديمقراطي، وهي إحدى المسؤوليات الكبرى الملقاة عليها، والتي تتقاسمها مع الأسرة والأطراف الأخرى المتدخلة في الحياة العامة.

ومن ثم، فإن الفصل الدراسي هو الفضاء اليومي الذي تتأسس فيه الديمقراطية، والأستاذ هو من يتولى غرس أسس هذه الأخيرة في وعي التلاميذ ونفوسهم، وذلك عبر ترسيخ قيم الحوار الهادئ والبرهنة العقلية على حساب العنف والضغط والمناورة والهيمنة وكذلك عن طريق إفهام المتعلمين أن القواعد المنظمة للعمل داخل الفصل، لا يجب أن تعاش كقواعد متسلطة مفروضة من قبل شخص بالغ أو راشد، وإنما باعتبارها شروطا مساعدة على تحقيق مشروع ينخرط الجميع في إنجازه. كما أن مسألة انضباط التلاميذ في الفصل التي يشتكي منها الأساتذة غير منفصلة عن مسألة تنظيم العمل. بيد أن ميريو يرفض تلخيص مهنة الأستاذ في تنشيط (l'animation) أو تدبير (la gestion) الفصل؛ فالأول يحيل على وضعيات يغلب عليها الطابع الترفيهي على حساب المكتسبات، بينما الثاني، يوحى إلى أن التلاميذ يمثلون "مخزونا" (stock) من الأفراد يتعين "تدبيرهم" للحصول على انخراطهم والتحكم في سلوكهم. والواقع أن عمل الأستاذ في جوهره، يقوم على نقل معارف تُحرَّرُ الأفراد وتوحدهم، وذلك عبر بناء فكرهم ومساعدتهم على فهم العالم والتواصل مع الآخرين، وليس فقط تمكينهم من اجتياز الامتحانات المدرسية بنجاح. إذ ما فائدة مدرسة لا تربي التلميذ للحياة! في هذا السياق، يدعو الباحث إلى إحياء البيداغوجيا التعاونية داخل الفصل الدراسي (مثل نموذج فرينيه Freinet)، حيث يكون إسهام

كل فرد ضروريا لنجاح المجموعة، ونجاح الأخيرة يسهم في تقدم كل فرد من الأفراد المكونين لها (ومن هذه الأنشطة البيداغوجية مثلا: المساهمة في إنجاز عرض أو تجربة علمية أو تحقيق ميداني... أو بصورة مبسطة: المساعدة أو الشروحات المتبادلة في الفصل بين المتعلمين أثناء الدروس...)، والأهم من ذلك أن تكون هذه الأنشطة فرصة لاكتشاف فضائل الديمقراطية وممارستها.

في ختام هذه النقطة المتصلة بأهمية الفصل الدراسي في بناء الديمقراطية والعيش المشترك في المجتمع، نشير إلى أنه يُحسب لميريو في هذا العمل تنبيهه إلى أن "الفردنة المطلقة" للمسارات الدراسية التي تروج لها الشركات التكنولوجية الرأسمالية، من شأنها أن تعدم الوظيفة السياسية للمدرسة (بناء المواطن). ذلك أن التربية من منظوره، هي دائما عمل سوسيولوجي يحتاج إلى الغير المختلف داخل جماعة الفصل لممارسة الديمقراطية والتدرب على فضائلها، حيث إن إلغاء "الفصل الدراسي المشترك" يعني الانتقال من "مجتمع المواطنين" إلى "مجموعات من المستهلكين المعزولين" (Meirieu, 2023, pp. 38-43).

سادسا: مستقبل مهنة التدريس

يرى فيليب ميريو أن مهنة التدريس، في المجتمع الفرنسي وفي مجتمعات أخرى (ESF Sciences Humaines, 2025)، تعيش أزمة جاذبية حقيقية تجلت في تراجع الإقبال عليها وصعوبة استقطاب أساتذة جدد إليها، ناهيك عن ارتفاع عدد الذين يغادرونها. ويعزو ذلك إلى ضعف الأجور، وتدهور المكانة الرمزية للمدرس، وصعوبة ظروف العمل، وتنامي الضغوط الاجتماعية والإدارية، فضلا عن الخطابات الشعبوية والإعلامية التي تساهم في إضعاف صورة المدرسة والمدرس في المجتمع (Meirieu, 2023, pp. 44-46).

ويؤكد أن تجاوز هذه الأزمة يقتضي، أولا، إعادة الاعتبار المادي للمهنة عبر تحسين الأجور، وثانيا، مراجعة شاملة لظروف العمل والتنظيم التربوي. ويدعو إلى إصلاح متكامل يهتم حجم عدد التلاميذ في الأقسام، وأنظمة التوظيف والتكوين والتنقيل، وأساليب التقويم والتدبير، مع إشراك الأساتذة أنفسهم في التفكير في هذه الإصلاحات بدل الاكتفاء بإجراءات جزئية ومتسعة. كما يشدد ميريو على ضرورة إعادة البعد الإنساني إلى المدرسة من خلال تعزيز العمل الجماعي بين الأساتذة، وتوفير الدعم التربوي اللازم، وإحداث وحدات تعليمية صغيرة تسمح ببناء علاقات تربوية أكثر قربا بين الأساتذة

والتلاميذ. ويرى أيضا أن تحسين التكوينين الأساس والمستمر، يعد شرطا أساسيا لمواجهة تعقيدات المهنة وتحدياتها المتزايدة. علاوة على إعادة النظر في أدوار باقي الفاعلين في المدرسة (مديرون، مفتشون...)، والمناهج والبرامج التعليمية (Meirieu, 2023, pp. 46-50).

وفي مستوى أعمق، يذهب الباحث إلى أن إنقاذ مهنة التدريس، لا يتحقق فقط بتحسين الظروف المادية، بل بإحياء رسالتها الفكرية والتربوية. ذلك أن مهمة الأستاذ تتمثل في تنمية روح التساؤل والبحث لدى المتعلمين، ومساعدتهم على تجاوز الأحكام المسبقة والانفتاح على المعرفة النقدية. وفي مواجهة الشعبوية ونظريات المؤامرة والتضليل الإعلامي، تصبح المدرسة فضاء لتكوين مواطنين أحرار، قادرين على التفكير المستقل والمسؤول. تحتاج مهنة التدريس إلى إعادة الاعتبار إلى ما يسميه بعض الباحثين بالنواة الرمزية المؤسسة للمهنة (le foyer mythologique)؛ وهي مجموع المعاني والقيم والصور المؤسسة التي تمنح المهنة غايتها في المجتمع، وتعبئ أصحابها وتمنحهم أسباب الاستمرار فيها، بمعنى عدم تلخيص المهنة في مجموعة من الإجراءات التقنية الروتينية التي يقوم بها أجراء يتقاضون أجرا شهريا (Meirieu, 2023, pp. 50-53).

3. واقع الأستاذ المغربي والمدرسة المغربية في ضوء بعض الأفكار المطروحة في الكتاب

بالرغم من خصوصية السياق الذي يتحدث عنه ميريو: المدرسة في المجتمع الفرنسي، إلا أن العديد من الأفكار التي طرحها ذات راهنية وذات صلة بالسياق التربوي والتعليمي المغربي، بل بسياقات دولية أخرى كثيرة. لذا، سنحاول قراءة بعض جوانب الواقع التعليمي المغربي في سياق الأفكار التي طرحها الباحث في هذا الكتاب خاصة.

أولا. يتحدث الباحث عن منطق وجود "بالغ أمام كل قسم"، باعتباره محركا لبعض السياسات المرتبطة بتوظيف الأساتذة، مع إهمال الكثير من الأمور المتعلقة بهذه العملية الحساسة (جاذبية المهنة، تكوين الأساتذة...)، ولعل المدرسة المغربية أيضا قد عاشت لسنوات طويلة على إيقاع تدابير تكنوقراطية تهدف فقط إلى سد الخصاص البشري وضمان "أستاذ لكل فصل" أو لعدة فصول (الأقسام المشتركة)، وهو ما تجسد أساسا في اعتماد صيغة "التوظيف بالتعاقد" منذ سنة 2016. هذا النمط من التوظيف أدى إلى ما حذر منه ميريو: إدخال أساتذة إلى الفصول بتكوينات أساسية مقتضبة جدا أحيانا، وأجج الاحتجاجات الأستاذية التي شلت المدرسة العمومية جزئيا أو كليا لسنوات عديدة. كما أدى ذلك إلى الكثير من النتائج السلبية على المتعلمين وعلى الهوية المهنية والشخصية والاجتماعية للأساتذة (افرماس، 2024).

ثانيا. بالرغم من أن هذه المقالة ليست دراسة نقدية لمدارس الريادة بالمغرب، ولا إسقاطا مباشرا لأفكار الكتاب على هذا الموضوع، إلا أن ما يطرحه الكتاب بخصوص مسألة النزعة الأداتية لبعض المحاولات الإصلاحية، والتأثر بالنزعة التكنوقراطية والإيمان بـ"الممارسات الجيدة والبروتوكولات الجاهزة"، يظهر نسبيا في مشروع مدارس الريادة، حيث يتم التركيز المكثف على مقاربات علاجية نمطية وقابلة للقياس كميا بشكل صارم (مثل مقارنة TARL لعلاج التعثرات، والتقييمات الرقمية المستمرة). ورغم الفعالية الإجرائية المؤقتة لهذه المقاربات، إلا أنها، وفق رؤية ميريو والعديد من الباحثين الآخرين، تحمل خطر تحويل الأستاذ المغربي من مربٍّ ومثقف ومبتكر للوضعيات الديدكتيكية إلى "منفذ تقني" لحزم تربوية ودروس جاهزة صُممت خارج سياق الفصل الدراسي.

ذلك أن المقاربات المعتمدة في إطار مدارس الريادة، تفرض دروسا مبرمجة ومقننة بشكل صارم، مما يحرم الأستاذ -أو يقلل إلى حد كبير- من هامش الحرية والمرونة في ملائمة الطرق البيداغوجية مع احتياجات المتعلمين. إضافة إلى ضعف التكوين وضعف الدعم الميداني الكافي، حيث إن الدورات التكوينية القصيرة، غير كافية لتغيير الممارسات والعادات المهنية المترسخة لدى الأساتذة. كما أن هذه الفئة (خاصة في العالم القروي) تواجه الصعوبات بمفردها في ظل ضعف الجودة وضعف المواكبة التربوية المستمرة من قبل هيئة التفتيش. هذا إلى جانب الضغط المرتبط بكثافة البرامج والأدوات الجاهزة؛ فقد عبّر جزء كبير من الأساتذة عن عدم رضاهم عن الموارد الرقمية المعتمدة (عروض PPT الجاهزة)، معتبرين أن البرامج السنوية مكثفة للغاية ولا تمكنهم من تحقيق الأهداف المسطرة في الفترات الزمنية المحددة. هذا إضافة إلى ضعف التحفيز ومحدوديته... (El Allaoui et al, 2025, pp. 436-472 ; Hamdani, 2024, pp. 211-240).

ثالثا. يسجل الباحث تراجع "الحرية البيداغوجية" لدى الأساتذة في السياق الذي يدرسه: وهو ما يمكن ملاحظته نسبيا لدى الأساتذة المغاربة أيضا، حيث أبرزت دراسة TALIS (مارس 2026) من خلال مقارنة متعددة الأبعاد لمفهوم الاستقلالية المهنية، أن مستوى الاستقلالية البيداغوجية لدى الأساتذة المغاربة يظل أقل من المتوسطات الدولية؛ فقط نسبة محدودة منهم، تتمتع بإمكانية تكييف المنهاج الدراسي (51% في السلك الإعدادي و44% في الابتدائي)، أو اختيار أهداف التعلم (45.5% و37% على التوالي). بالمقابل، تسجل الدراسة حضورا أكبر نسبيا للاستقلالية في مجالي التقييم (80%) واختيار طرائق التدريس أو إعداد الدروس (70%). أما على مستوى المشاركة في بناء المنهاج الدراسي، فتظل الاستقلالية ضعيفة جدا، سواء في الإعدادي (27%) أو الابتدائي (30%)، وهو وضع مشابه لاستخدام الأدوات الرقمية.

كما تكاد مشاركة الأساتذة في تحديد محتويات الدروس تكون شبه منعدمة في الممارسة المهنية (10% في الابتدائي و6% في الإعدادي). وإضافة إلى ذلك، تشير النتائج إلى ضعف ملحوظ في إشراك الأساتذة في صنع القرار المتعلق بالسياسات المدرسية (المجلس الأعلى للتربية والتكوين والبحث العلمي، 2026، ص 9 وما بعدها).

رابعاً. مسألة جاذبية المهنة: تواجه مهنة التدريس في العديد من البلدان مشكلة ضعف جاذبيتها، خاصة للتلاميذ المتفوقين (الذين عادة ما يتوجهون إلى مهن الطب والهندسة والقانون والتجارة)، وهذا ما وقف عليه صاحب الكتاب أيضاً. بالنسبة للمغرب، يشير تقرير طاليس حول مهنة التدريس (مارس 2026)، إلى أن ثمة نسبة عالية من الأساتذة في الابتدائي (71%) والثانوي الإعدادي (78%) كان التدريس بالنسبة لهم هو الاختيار المهي الأول... (CSEFRS, 2026, p. 91). غير أنه حري بنا أن نتساءل: هل اختيار المهنة كخيار أول يعني أنها مهنة جذابة فعلاً وكان هناك ميل إليها على حساب المهن الأخرى أم أن ذلك راجع لغياب بدائل أخرى أكثر جاذبية أمام خطر مواجهة البطالة؟ في الواقع، لا تقدم دراسة طاليس إجابة عن هذا السؤال. على خلاف دراسة أخرى لنفس الهيئة، توصلت إلى أن: نظام التوظيف في المنظومة التعليمية المغربية، يتسم بضعف فعاليته في استقطاب وانتقاء المترشحين ذوي الكفاءات العالية. ويُعزى ذلك إلى عاملين رئيسيين؛ يتمثل الأول، وهو الأكثر تأثيراً، في محدودية جاذبية مهنة التدريس بالنسبة لأصحاب التحصيل المرتفع والتلاميذ المتفوقين، إذ غالباً ما ينظر إليها من يختارها باعتبارها فرصة متاحة للولوج إلى سوق الشغل في ظل محدودية البدائل المهنية الأكثر جاذبية من حيث المكانة والعائد المادي. أما العامل الثاني، فيرتبط بما تشهده آليات التوظيف ومعايير انتقاء المترشحين من أوجه قصور واختلال تحد من قدرتها على استقطاب أفضل الكفاءات (المجلس الأعلى للتربية والتكوين والبحث العلمي، 2021، ص. 29).

في السياق ذاته، أظهرت نتائج البحث الوطني حول الأسر والتربية، أن مهنة التدريس تتمتع بجاذبية أكبر لدى الإناث مقارنة بالذكور. فقد احتلت، في تصورات الأسر المستجوبة، المرتبة الثانية ضمن المهن المفضلة للفتيات بعد المهن الحرة (كالطب والهندسة والمحاماة وغيرها). أما بالنسبة للذكور، فلم تحظ مهنة التدريس بالمكانة نفسها، إذ جاءت في المرتبة الرابعة بنسبة 8.8%، بعد الوظائف العمومية الأخرى، والمهن الحرة (كالطب والهندسة والمحاماة)، ثم المهن المرتبطة بالشرطة والدرك والقوات المسلحة (المجلس الأعلى للتربية والتكوين والبحث العلمي، 2019، ص. 76-79).

خامسا. مكانة المعرفة في المدرسة المغربية: من الأفكار المهمة التي يدافع عنها ميريو أن التعليم لا ينبغي أن يقتصر على النجاح في الاختبارات، بل يجب أن يساعد المتعلم على فهم العالم واكتساب "طعم/ مذاق المعارف" *"la saveur des savoirs"* بتعبير جان بيير أستولفي (Astolfi, 2008). وإذا ما قاربنا هذه الفكرة في ضوء واقع المدرسة المغربية، سنصطدم بهيمنة صارخة لثقافة الامتحانات والشهادات؛ حيث يتأسس تمثل التلاميذ والأسر للفعل المدرسي حول "النجاح المادي النفعي" (الحصول على نقط مرتفعة بأي ثمن)، على حساب بناء المعرفة الحقة أو تنمية الفكر النقدي. والملاحظ في هذا السياق، أن الامتحانات الإشهادية عندنا تُحاط بهالة سيكولوجية واجتماعية مبالغ فيها، كما تحظى نسب النجاح الكمية باهتمام مؤسسي وإعلامي مفرط، مما يسهم بشكل مباشر في تغذية تمثيلات سلبية وممارسات منحرفة مقترنة بالغش في الامتحانات المدرسية والجامعية، باعتباره أقصر الطرق لنيل الشهادة دون امتلاك المعرفة.

خلاصات واستشكالات

- نستخلص من قراءتنا للكتاب جملة من الخلاصات التي سنختمها ببعض التساؤلات التي لم يجب عنها الكتاب:
- يبين الكتاب أن أزمة مهنة التدريس ليست أزمة توظيف فقط، بل هي أزمة معنى ورسالة ومكانة اجتماعية، ترتبط بتراجع الاعتراف المادي والرمزي بالأستاذ، وهيمنة المقاربات التكنوقراطية على السياسات التعليمية؛
 - ينتقد ميريو الاعتقاد بإمكانية توحيد الممارسات البيداغوجية عبر بروتوكولات جاهزة، أو اعتماد ما يسمى "الممارسات الجيدة" باعتبارها وصفات صالحة لكل السياقات، لأن الفعل التدريسي يقوم على التفاعل الإنساني الذي لا يقبل الاختزال أو القياس؛
 - يؤكد الكتاب أن الإفراط في ثقافة القياس والتقييم الكمي، وما يصاحبها من منطق المنافسة والمحاسبة، يؤدي إلى إضعاف الاستقلالية المهنية للأستاذ، وتهميش الأبعاد الإنسانية والثقافية للتربية؛
 - يشدد ميريو على أن العلاقة الحية التي يقيمها الأستاذ مع المعرفة والمتعلمين، لا يمكن أن تعوضها الخوارزميات أو تطبيقات الذكاء الاصطناعي، لأن التعليم فعل إنساني يقوم على الحوار والتفاعل الإنساني وبناء المعنى والرغبة في التعلم؛

- يرى المؤلف أن المدرسة تؤدي -إلى جانب مؤسسات اجتماعية وسياسية أخرى- وظيفة ديمقراطية تتجاوز نقل المعارف، إذ تسهم في بناء المواطن القادر على التفكير النقدي والعيش المشترك، وهو ما يقتضي الحفاظ على الفصل الدراسي باعتباره فضاء للحوار والتعاون؛

- تكشف القراءة أن عددا من القضايا التي يثيرها الكتاب تكتسي أهمية بالنسبة للمدرسة المغربية، خاصة ما يتعلق بمنطق تدبير الموارد البشرية، وضعف الاستقلالية المهنية للأستاذة، والنزعة الأداتية لبعض المحاولات الإصلاحية، وتراجع جاذبية المهنة، وهيمنة ثقافة الامتحانات والنتائج الكمية على المنظومة؛

- لا يدعو الكتاب إلى رفض التكنولوجيا أو التقويم أو الإصلاحات التربوية في حد ذاتها، وإنما يحذر من تحويلها إلى غايات مستقلة عن المشروع التربوي، بما يفضي إلى تهميش دور الأستاذ وإفراغ المدرسة من رسالتها الإنسانية والديمقراطية؛

- تنتهي هذه القراءة إلى أن أي إصلاح مستدام للمدرسة، يظل -في جزء كبير منه- رهينا بإعادة الاعتبار لمهنة التدريس، وتحسين ظروف ممارستها، وتعزيز استقلالية المدرسين، وبناء مشروع تربوي يجعل الإنسان، لا المؤشرات الرقمية، في صلب العملية التعليمية.

- ختاماً يمكن القول: لقد عمل ميريو على تقديم مرافعة قوية عن الفعل التربوي داخل المدرسة، والعمل التدريسي بشكل خاص، بوصفه مهنة إنسانية وتربوية وسياسية، لا يمكن اختزالها في تنفيذ تعليمات تقنية أو استبدالها بالمنصات الرقمية والذكاء الاصطناعي، لكن لم يوضح -في هذا الكتاب- بعض المبادئ أو السبل الممكنة الكفيلة بالاستغلال الأمثل للتكنولوجيا والذكاء الاصطناعي في سبيل تطوير مهنة التدريس. فإذا كانت التكنولوجيا لا ينبغي أن تحل محل الأستاذ، فهل يعني ذلك أن الأستاذ يجب أن يحتفظ بكل وظائفه الحالية؟ أم أن بعض وظائف التدريس قابلة بالفعل للتدخل التكنولوجي، بما يسمح بتحرير الأستاذ للقيام بالوظائف الأكثر إنسانية وفكرية؟ وبتعبير آخر: كيف يمكن الاستفادة من الخدمات التي يقدمها الذكاء الاصطناعي في التربية والتدريس، من دون إلحاق الضرر بأدوار مهنة التدريس ووظائف التربية والتعليم عموماً؟

لائحة المصادر والمراجع

- افرماس، م. (2024). التوظيف الجهوي للمدرسين في التعليم العمومي: الأسباب والمرجعيات والانتقادات. *باحثون: المجلة المغربية للعلوم الاجتماعية والإنسانية*، (25)، 46.37.
- المجلس الأعلى للتربية والتكوين والبحث العلمي. (2019). الأسر والتربية: التمثيلات والانتظارات والتطلعات: نتائج أولية.
- المجلس الأعلى للتربية والتكوين والبحث العلمي. (2021). مهنة الأستاذ(ة) في المغرب على ضوء المقارنة الدولية.
- المجلس الأعلى للتربية والتكوين والبحث العلمي. (2026، مارس). الدراسة الدولية للتعليم والتعلم 2024 – المغرب: - تقرير موضوعاتي (ملخص).
- Albandea, H. (2026, Avril). L'AI est-elle... un prof pédagogue ? *Sciences Humaines*, (387), 49–51.
- Astolfi, J.-P. (2008). La saveur des savoirs : Disciplines et plaisir d'apprendre. Paris .ESF Sciences Humaines.
- Conseil supérieur de l'éducation, de la formation et de la recherche scientifique (CSEFRS). (2026, Mars). Enquête internationale sur l'enseignement et l'apprentissage (TALIS 2024) – Maroc: Rapport thématique.
- El Allaoui, A., Chekkouh, N., Rachi, R., Abair, M., Yassine, A., Nassira, H., & Hicham, O. (2025). L'enseignement explicite dans le contexte éducatif marocain: Une analyse critique et bibliométrique. *European Scientific Journal*, (47), 436–472.
- ESF Sciences Humaines. (2025, 13 Mars). Lettre à un jeune professeur : Rencontre avec Philippe Meirieu [Vidéo]. YouTube. <https://short-url.cc/1zPIO> consultée le 10 juillet 2026.
- Freud, S. (1985). L'analyse avec fin et l'analyse sans fin. In Résultats, idées, problèmes (Vol. II). Presses Universitaires de France. (Œuvre originale publiée en 1937).

-
- Gori, R. (2016). Gouverner, éduquer et analyser: Trois métiers impossibles? *Cliniques méditerranéennes*, 94(2).
 - Hamdani, Y. (2024). L'évaluation de la qualité du projet des écoles pionnières par les professeurs de l'enseignement primaire au Maroc. *TAKWINE Journal for Education Studies and Research on Pedagogical Innovation*, 2(1), 211–240.
 - Meirieu, P. (17 février 2025). L'enseignement explicite: Une ambiguïté risquée. *Cahiers pédagogiques*. <https://shortlink.win/1DLJn> consultée le 21 juillet 2026.
 - Meirieu, P. (2019). La pédagogie n'est pas une science [Entretien réalisé par R. Rinaldi & H. Lhéréty]. *Sciences Humaines*, (313), 24–27.
 - Meirieu, P. (2023). Qui veut encore des professeurs?. Paris. Éditions du Seuil.
 - Ricoeur, P. (1955). La parole est mon royaume. *Esprit*, 23(2), 192–205.
 - Resweber, J.-P. (2012). Les pédagogies nouvelles. Paris. Presses Universitaires de France.